تناقضات الفكر الوجودى في مسرح "سارتر"
دراسة تحليلية على نماذج مختارة

د. إبراهيم أحمد محمد حسن*

المستخلص

ارتكزت الوجودية بوصفها مذهبًا فلسفيًا على فكرة أن الوجود يسبق الماهية، وتفرعت عن هذه الفكرة مبادئ كالحرية والاختيار والمسؤولية والالتزام. ولم يقتصر نشاط الوجودية على مجال الفلسفة، بل تعدته إلى مجال الأدب فارتأت فيه أرضًا خصبة لغرس مبادئها، فلم يكتف "سارتر" بطرح أفكاره في كتبه الفلسفية، "بل لجأ إلى الأدب الروائي والمسرحي، ليجعله بوقا لها. وقد ظلت الوجودية في مرمى سهام النقد، فهناك من اتهم الوجودية بطغيان النزعة الفردية، واللاعقلانية، والتشاؤم، وهناك من اتهم "سارتر" بالتناقض بين أفكاره الواردة في كتبه الفلسفية وتلك التى أوردها على لسان شخصياته المسرحية، وهو ما دفع الباحث لدراسة نماذج من نصوص "سارتر" بهدف الوقوف على هذا التناقض وكشف أسبابه وقد أكدت الدراسة على وجود تناقض بين أفكار "سارتر" عن الحرية والمسؤلية والالتزام وبين سلوك وأفعال أبطال مسرحياته ووقفت على أسباب هذا التناقض ومبرراته الفكرية والدرامية وأشار الباحث إلى أن اختلاف الآراء حول تفسيرات نصوص "سارتر"، وتناقضاتها هو تأكيد على ثرائها الفكري وتحفيزها لذهن المتلقي للكشف عن مستوياتها الرمزية.

الكلمات المفتاحية: مسرح سارتر- التناقضات – الالتزام الأدبي – الفلسفة.

Contradictions of Existential Thought in Sartre's Theatre
Analytical study on selected models

Dr. Ibrahim Ahmed Mohamed Hassan

Abstract

Existentialism, as a philosophical doctrine, was based on the idea that existence precedes essence, and principles such as freedom, choice, responsibility and obligation were branched from this idea. Existentialism's activity was not limited to the field of philosophy, but went beyond it to the field of literature, and saw in it a fertile ground for instilling its principles. "Sartre" was not satisfied with presenting his ideas in his philosophical books, but "he resorted to novel and theatrical literature, to make it a trumpet for it. Existentialism has remained within the range of criticism's arrows. There are those who accused existentialism of the tyranny of individualism, irrationality, and pessimism, and there are those who accused Sartre of the contradiction between his ideas contained in his philosophical books and those he mentioned in the words of his theatrical figures, which prompted the researcher to study samples of Sartre's texts with the aim of identifying this contradiction. He revealed its causes, and the study confirmed the existence of a contradiction between Sartre's ideas of freedom, responsibility and commitment, and the behavior and actions of the heroes of his plays. For the recipient's mind to reveal their symbolic levels.

Keywords: Sartre Theatre- Contradictions -Literary Commitment- Philosophy.

مقدمة

تعتبر الوجودية من الفلسفات القديمة والحديثة في تاريخ الفكر الإنساني؛ حيث كانت في حياة البشرية يقظات وجودية، تهتف بأن الإنسان هو المشكلة الأساسية التى يجب أن يكون له أولوية الصدارة في الفكر الإنساني، وقد تلمس المفكرون تاريخ الفكر الوجودي فأرجعه بعضهم إلى بدء الخليقة، بينما رده البعض الآخر إلى "سقراط" Socrates (٤٧٠- ٣٩٩ ق.م)، الذي ظل

◆ أستاذ النقد المسرحي المساعد بقسم الدراسات المسرحية – كلية الآداب- جامعة الاسكندرية

طوال حياته يحاور الناس تحت شعار (اعرف نفسك بنفسك) ويناقشهم في أمور تمس وجودهم الإنساني.

ولكن من المؤكد أن كلمة الوجود بالمعني الفلسفي استخدمت لأول مرة علي يد الفيلسوف البروتستانتي الدنماركي "كيركجارد" Kierkegaard (١٨١٣-١٨٥٥) الذي يعده رجال الفكر في الغرب الأب الرسمي لمدرسة الوجودية المؤمنة، وقد كان متأثرًا بالمبادئ النصرانية وعلى الأخص البروتستانتية، ولكنه مع هذا ظل مجهولا نحو مائة سنة؛ إذ لم تترجم آراؤه إلى الألمانية إلا في أوائل القرن العشرين[١].

وقد قدم "كيركجارد" فهمًا جديدًا للوجود من منطلق الحرية والإلتزام فأكد على أن "الوجود يعني أن يكون لديك الحرية في أن تختار من تكون وذلك يعني أن تعيش حياة ملتزمة"[٢]

ثم برزت الوجودية الملحدة بوصفها مذهبًا فلسفيًا واضح المعالم في القرن العشرين على يد الفيلسوف الفرنسي "جان بول سارتر" Jean-Paul Sartre (١٩٠٥-١٩٨٠) –في كتابه "الوجود والعدم"- نتيجة تفاقم الأزمة التى خلفتها الحروب العالمية، وبخاصة الحرب العالمية الثانية التى شككت في القيم الموروثة والأخلاق الموجودة، والتقاليد والأعراف التي نشأ عليها المجتمع الأوروبي، وكشفت عن زيف هذه المبادئ وتِدني المثل العليا والقيم الأصيلة.

لقد عاش "سارتر" عالما صهرته صراعات الحرب العالمية الثانية، " فلقد فشاهد بأمِ عينيه احتلال الألمان لفرنسا، وانخرط في صفوف المقاومة الفرنسية السرية ضد النازيين، وحاول أن يؤسس حزبًا سياسيًا أطلق عليه "المنظمة الديمقراطية الثورية"، كما قاد حملات شعواء ضد الاستعمار، وأيد ثورة استقلال الجزائر، ووقف في وجه العدوان الثلاثي الغاشم علي مصر ١٩٥٦. لقد كان عدوًا لدودًا للحرب وللداعين إليها"[٣]

وقد لاقت الوجودية قبولا في نفوس قطاعات كبيرة من الأوروبيين، وبخاصة أولئك الذين يتخبطون بين مختلف القوي المتناحرة، والضائعون في متاهات المجتمع البرجوازي وتناقضاته؛ حيث طرح الوجوديون قضايا متعلقة بمعنى الوجود الإنساني، والحرية ومشكلات الاختيار والمسؤولية الذاتية.

وارتكزت الوجودية بوصفها مذهبًا فلسفيًا على فكرة أن الوجود يسبق الماهية، وتفرعت عن هذه الفكرة مبادئ كالحرية والاختيار والمسؤولية والالتزام. .

ولم يقتصر نشاط الوجودية على مجال الفلسفة، بل تعدته إلى مجال الأدب فارتأت فيه أرضًا خصبة لغرس مبادئها، فلم يكتف "سارتر" بطرح أفكاره في كتبه الفلسفية، "بل لجأ إلى الأدب الروائي والمسرحي، ليجعله بوقا لها.

وقد ظلت الوجودية في مرمى سهام النقد الذي كان بعضه موضوعيًا، علميًا ومنهجيًا، وكان بعضه الآخر متهافتًا، لا يرتكز إلى أي منهج واضح. فهناك من اتهم الوجودية بطغيان النزعة الفردية، واللاعقلانية، والتشاؤم، وعدم الاكتراث بالأخلاق، وبأن نظرتها الإنسانية ضيقة وهناك من اتهم سارتر بالتناقض بين أفكاره الواردة في كتبه الفلسفية وتلك التى أوردها على لسان شخصياته المسرحية، وهذا الاتهام الأخير هو ما دفع الباحث لدراسة ثلاثة من نصوص سارتر : الذباب (١٩٤٣) -لامفر(١٩٤٤)- الشيطان والإله الطيب (١٩٥١)، لتأكيد هذا الادعاء أو نفيه والوقوف على أسبابه ومبرراته الفكرية والدرامية في حالة وجوده.

---

(١) انظر: محمد سعيد العشماوى: تاريخ الوجودية في الفكر البشري، دار سيناء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢، ص٨٩.

(٢) ديف روبنسون، جودي جروفز: أقدم لك الفلسفة، ت: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١، ص٩٢.

(٣) عبد المنعم ابراهيم البحقيري: الإنسان والحرية في مسرحيات سارتر، (مجلة المسرح)، العدد٤١، السنة الرابعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة ١٩٦٧، ص٣.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١- مامفهوم الحرية عند شخصيات "سارتر" المسرحية وما مدى قربه أو بعده عن مفهومها في كتاباته الفلسفية؟

٢- ماأوجه التلاقي والاختلاف في مبدأي المسؤولية والالتزام بين كتابات "سارتر" الفلسفية والمسرحية؟

٣- ماعلاقة الشخصية بالذات الإلهية في مسرح "سارتر" وهل هي متوافقة مع أرائه الفلسفية الملحدة؟

٤- هل هناك تناقضات وقع فيها النقاد –أيضًا- عند تفسيرهم لنصوص "سارتر" من منطلق فكره الفلسفي؟

وللإجابة عن تلك التساؤلات سيعتمد البحث على المنهج الوصفى التحليلي.

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من ندرة الدراسات الأدبية التى تناولت تناقضات "سارتر" بين الفكر الفلسفي، وأعماله المسرحية، فضلا عن تقديم دراسة تحليلية لثلاثة من أهم نصوصه، للكشف عن الثراء الفكري لأعماله.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى الوقوف على التناقضات بين فكر "سارتر" الوجودى وأعماله المسرحية، والكشف عن أسباب تلك التناقضات الفكرية والدرامية.

تعتبر الحرية مرتكزًا أساسيًا من مرتكزات فلسفة "سارتر" وتنبثق الحرية الوجودية عن مبدأ أسبقية الوجود على الماهية وهو مبدأ ينطبق –من وجهة نظر سارتر- على الإنسان دون سائر الموجودات الأخرى ومعناه أن الإنسان يوجد أولاً، وينبثق في العالم، ثم يحدد ماهيته من بعد. ويوضح "سارتر" هذا المفهوم في كتابه "الوجودية مذهب إنساني" حيث يقول :

"إننا نعني أن الإنسان يوجد أولا، ثم يتعرف إلى نفسه، ويحتك بالعالم الخارجي، فتكون له صفاته، يختار لنفسه أشياء هي التي تحدده، فإذا لم يكن للإنسان في بداية حياته صفات محدودة، فذلك لأنه قد بدأ من الصفر، بدأ ولم يكن شيئًا، وهو لن يكون شيئًا إلا بعد ذلك، ولن يكون سوى ما قدره لنفسه"(٤)

وأكد "سارتر" على أن الإنسان صاحب إرادة حرة تدفعه نحو اختيار أفعاله، مرتكزًا على المبدأ الديكارتي "أنا أفكر إذا أنا موجود"، وقد فرقت الفلسفة الوجودية بين نوعين من الوجود، هما الوجود لذاته، والوجود في ذاته. "وينشغل "سارتر" في تحليله للوجود لذاته بموضوعات تحقيق الذات الإنسانية لذاتها بشكل واعي سعيًا وراء امتلاك حريتها وشروط وجودها، أما الوجود في ذاته فهو وجود الأشياء مليئة بذاتها دون وعي أو تغيير وهو وجود خاص بكل الكائنات ماعدا الإنسان"(٥).

وقد توصل "سارتر"، مرتكزًا على أفكار أستاذه الفيلسوف الألماني "ادموند هوسرل" Edmund Husserl (١٨٥٩- ١٩٣٨)، إلى أن العدم ليس مرتبطًا بالأشياء الموجودة في ذاتها، بل

(٤) جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، ت: عبد المنعم الحفني، ط١، مطبعة الدار المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ص١١.
(٥) جان بول سارتر : الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٦٦، ص٤٥.

مرتبط بالوجود لذاته أي بالواقع الإنساني، وهذا العدم يتم عن طريق انسلاخ الوعي عن ذاته بوساطة السلب الداخلي، لذلك يعلن "سارتر" أن السلبية هي أصل العدم [٦].

كما يدعو "سارتر" إلى التحرر من أية مؤثرات أو قيود من شأنها تكبيل حرية الإنسان الوجودي، وفي مقدمتها القيم الدينية، ورفض كل ما يحول دون إتخاذ القرار كالأخلاق والأعراف والقوانين، وبالرغم من ذلك يؤكد على أن الحرية الوجودية ليست حرية عبثية، وإنما حرية مقرونة بروح المسؤولية والالتزام، بمعنى أن الإنسان مسؤول عن أفعاله التى اختارها بمحض إرادته وعليه أن يتحمل عواقب تلك الاختيارات ولا يندم عليها، وفي الوقت ذاته فإن هذه الحرية لا تتحقق -من وجهة نظر سارتر- سوى بقدرتها على أن تكون فاعلة ومؤثرة، وهو ما يوضحه بقوله: "عندما نقول إن الإنسان مسؤول عن نفسه فنحن لا نعني أنه مسؤول عن وجوده الفردي فحسب، بل هو في الحقيقة مسؤول عن جميع الناس وكل البشر"[٧]، ومن هنا جعلت الحرية المسؤولة الإنسان الوجودي يعاني القلق، لأنها من جهة تطالبه برفض كل قيم مسبقة، وتجعله يبتدعها، في حين أنه لا يمتلك أية معايير ثابتة للتمييز بين الصواب والخطأ، ومن جهة أخرى فإنه عندما يختار فهو يختار للبشرية جمعاء لكي تحذوا حذوه وتقتدي به، كأننا نقول لكل الناس: اختاروا مثلما اخترنا ولهذا فهو مسؤول عنهم ولابد أن يفكر في اختياره مليًا.

ويؤكد "سارتر" "إن هذا القلق طبيعي في حياة الإنسان الحر المسؤول، وهو ليس القلق الذي يؤدي إلى الاستكانة واللا فعل، لكنه القلق البسيط الذي يعرفه كل من تحمل مسؤولية من المسؤوليات في يوم من الأيام"[٨].

ومن ثم فإن الشعور بالحرية قلق، والقلق في تركيبه الأساسي شعور بالحرية، فالإنسان ليس فقط حرًا، ولكنه يستطيع أن يدرك حريته من خلال القلق، فالقلق هو الوسيلة التي توجد الحرية من خلالها[٩]

أما الالتزام فهو يحتم علي الذات أن تختار حريتها وحرية الآخر في آن واحد، إنه يجعل الفرد لا يستطيع اعتبار حريته غاية دون أن يدمج في تلك الغاية حرية الآخرين، ويرى "سارتر" "أن الأفعال الإرادية الواعية هي أفعال حرة، أما الأفعال الصادرة عن الأهواء أو الانفعالات أو الرغبات فإنها ليست حرة"[١٠]، ويعني ذلك أن الحرية التي نادي بها "سارتر" فى كتاباته الفلسفية ليست حرية فردية مطلقة تتيح للفرد أن يفعل ما يحلو له دون أي اعتبار ولكنها حرية ملتزمة واعية بما يجب أن يسلكه الفرد، وتنتهي حدودها عند حدود حرية الآخر فلا تتجاوزها أو تتعدى عليها، ومن هنا نجد أن وجودية "سارتر" "لا تعترف بواقع غير واقع الفعل؛ لأنها تقرر أن الإنسان ليس شيئاً غير أفعاله"[١١] .

كما أن هناك معني آخر للالتزام أورده "سارتر"[١٢] في كتابه "ما الادب؟"، حين تساءل مستنكرًا: "أن الادب قد يكون مبعثه الاتفعال أو العاطفة، ولكن لم لا يكون مبعثه أيضًا الغضب الاجتماعي والحفيظة السياسية؟ حيث لا وجود لفن إلا بوساطة الآخرين ومن أجلهم"، ولهذا يسمى أدب "سارتر" أدب الالتزام أو أدب الموقف، وفيه يحدد الكاتب موقفه من مسائل عصره تحديدًا تامًا، إذ لا قيمة مؤثرة للمبادئ التجريدية في ذاتها دون ربطها بملابساتها ودون تخصيصها بموقف معين.

(□)Christopher Macann : Four Phenomenological Philosophers, Husserl, Heidegger, Sartre, Merleau Ponty, London and New Yourk, 1993, P.118 – 119

(٧) جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، مرجع سبق ذكره، ص٤٥.

(٨) حبيب الشاروني: أزمة بين برجسون وسارتر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣ ، ص ١٢١.

(9)Arthur Colemon Danto : Jean Paul Sartre , Modern Masters , Viking Press , 1975, P.73

(١٠) حبيب الشاروني: فلسفة جان بول سارتر، منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ت، ص٢٠٨.

(١١) فؤاد كامل : فلاسفة وجوديون "مذاهب وشخصيات"، دار الطباعة القومية، ١٩٥٩، ص٥

(١٢) جان بول سارتر: ما الأدب؟ ، ت: محمد غنيمي هلال، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠، ص٨٣.

ويؤكد "سارتر" في كتابه "ما الأدب؟ أن الكتابة الإبداعية النثرية هي المقصودة بالالتزام لأنها تتعرض لمشكلات الإنسان وقضايا العالم ولذلك فالكاتب ملتزم بقضايا عصره سعيًا وراء تحقيق وجوده، ولكن فنون الشعر والرسم والنحت والرقص والموسيقى لاعلاقة لها بفكرة الالتزام، لأنها لا تتعرض لقضايا إنسانية واجتماعية، بل تسعى إلى الهروب من تحمل المسؤولية، وبذلك تفضي إلى العدم، وتعرض في ثنايا حديثه لقضية الفن للفن ورفضها بشدة؛ مؤكدًا أن الفن لا يكون من أجل الفن.(١٣)

ويرى الباحث أن رأي "سارتر" يحمل تناقضًا بين رفضه لمبدأ الفن للفن، والتشديد من ناحية أخرى على أن الفنون غير النثرية لا تخدم أغراضًا نفعية وأنها فن لمجرد الفن، وهذا أيضًا رأي مناقض لما نراه على أرض الواقع الفني فالمسرحيات الشعرية مثلا على مر تاريخ الأدب من العصر اليوناني إلى العصر الحديث عكست قضايا سياسية واجتماعية مهمة، وكان لها دورًا محوريًا في تشكيل لحظات حرجة ومؤثرة في حياة الشعوب.

ومن خلال قضية الالتزام تبرز نقطة هامة أخرى في فلسفة سارتر، وهي الصلة بين الذات والآخر، الذي ينظر إليَّ باستمرار بحيث أُصبح موضوعًا بنظره، وينصب نفسه قاضيًا وجلادًا على أفعالي ومن هنا ينشأ قلقي على نفسي، وكأن الآخر عدوي؛ إذ إنه يهددني، ويهدد إمكاناتي، لكنني في المقابل، عندما أنظر إليه أشله، ويصبح الآخر موضوعًا بنظري، ومن هنا كانت عبارة "سارتر" الشهيرة: الجحيم هو الآخرون.

وسيحاول الباحث في الجانب التطبيقي مناقشة كل الأفكار الوجودية المطروحة للوقوف على بؤر الضوء والظلمة بها والكشف عما يعتريها من تناقضات عند صياغتها دراميًا من خلال النصوص الثلاثة عينة البحث.

١- مسرحية "الذباب" (الندم) (١٩٤٣):

يعتبر نص "الذباب" تحويرًا منقحًا لمسرحية الكاتب اليوناني "يوربيديس" Euripides المعنونة بإلكترا والمستوحاة هي الأخرى من أسطورة يونانية قديمة تدور أحداثها حول رغبة "إلكترا" في الانتقام لوالدها الملك "أجاممنون" المغدور به من قبل أمها " كليتمنسترا " وعشيقها "إيجست"، ذلك الانتقام الذي لم تستطع هي القيام به بمفردها فظلت تنتظر عودة أخيها "أورست" الهارب بعد مقتل أبيه، كي يأخذ بثأرهما، وينتقم من أمهما التي غدرت بزوجها وتزوجت "إيجست" بعدما اتفقت معه على قتل "أجاممنون". ويحاول "سارتر" أن يلبس نصه ثوب فلسفته الوجودية، فيبدأ أحداث مسرحيته بعودة "أورست" إلى مدينة "أرجوس" بعد مقتل أبيه بخمسة عشر سنة -وقد تركها وعمره ثلاث سنوات خوفا من أن يلقى نفس المصير- فيجد "إيجست" زوج أمه وقاتل أبيه قد تربع على عرش المدينة، وفرض على أهلها عيدًا سنويًا أسماه يوم التكفير، وفيه يفتح الباب المؤدي إلى المقابر لكي يتسنى للموتى أن يندسوا وسط الأحياء وتتعالى أصواتهم بالاعتراف العلني طالبين الصفح والمغفرة من الموتى على ما أتوا من آثام، بعد أن أقنعهم بأنهم شركاؤه في الجريمة التي راح ضحيتها "أجامنون"، ووسط هذا الصخب يرسل الإله "جوبيتر" سحابة كثيفة من الذباب الذي لا يتوقف عن الطنين، معبرًا عن ندم أهل "أرجوس" الذين لم يحركوا ساكنًا أمام إغتيال ملكهم، ويصوّر "سارتر" هذا المشهد على لسان "أورست" في بداية المسرحية:

(١٣) انظر: المرجع السابق، ص٨٥.

"أورست : أهذا هو العدل؟ حوائط ملطخة بالدماء، وملايين من الذباب، وقيظ لافح، وشوارع مهجورة قاحلة، وإله له سحنة قتيل.. وحشرات في عقر دورها تقرع صدورها من سطوة الإرهاب، وهذا الصياح الذي لا يطاق.... أذلك ما يرضي جوبيتر؟"(١٤)

يوظف "سارتر" صيغ الاستفهام الاستنكاري ليرسم صورة كاريكاتيرية ساخرة ومرة لمبدأ الاعتراف بالخطيئة في الأديان السماوية، مما يعد أول إشارة لموقف الفلسفة الوجودية من قضية الندم.

ويلتقي "أورست" بشقيقته "إلكترا" ويفصح كل منهما للآخر عن رغبته في الانتقام من الأم وعشيقها، حتى لو كان هذا ضد إرادة "جوبيتر" الذي يؤيد سلطة الملك بصورة مطلقة، ويرى أنها امتداد لسلطته الإلهية، ولهذا يأمره أن يرحل في هدوء على أطراف أصابعه، ويصرف النظر عن قتل "إيجست" ولا يحاول أن يلهي أهل "أرجوس" عن وخز ضمائرهم، لأن هذه النفوس المستدرة للرحمة تروق للآلهة، التي تستريح خياشيمها ، لما يبعثه خوفهم وندمهم من نكهة طيبة.

ويجدها "سارتر" فرصة مناسبة لعرض أفكاره الوجودية عن الحرية بوصفها قدرًا لا سبيل إلى الهروب منه، حيث حكم على الإنسان أن يكون حرًا.

"أورست : من الناس قوم يولدون ملتزمين هؤلاء الناس لا اختيار لهم، وإنما قذف بهم في طريق ما، أما أنا فإني حر ...آه ما أوسع حريتي"(١٥)

وبعد أن يفشل "جوبيتر" في ثني عزيمة "أورست" وسلب إرادته يذهب إلى "إيجست" في محاولة لتدارك الأمر وتحذيره من الخطر الذي يحدق به، ويدور بينهما حوار يكشف عن لانهائية الحرية السارترية ويؤكد لا محدوديتها، وعدم حاجتها إلى أي ترخيص من أحد.

"إيجست : هل بلغ خطرهما هذا الحد؟

جوبيتر : أورست يعلم أنه حر.

إيجست : يعلم أنه حر؟ إذن لا يكفي أن يكبل بالأغلال، لأن الرجل الحر في المدينة كالشاه الجرباء في القطيع، جدير بأن ينشر عدواه في مملكتي، وأن يهدم ما بنيت..أيها الإله القادر، ما الذي يمنعك أن تصعقه؟.

جوبيتر : إن الحرية إذا تفجرت في روح إنسان، لم تستطع الآلهة شيئًا ضد هذا الإنسان؟"(١٦)

وتتعدد مستويات الصراع في نص "سارتر" فمن ناحية، "أورست" يواجه صراعًا خارجيًا مع قوى تسلبه حقوقه المادية ممثلة في "إيجست" الذي قتل أبيه واستولى على عرشه، ومن ناحية أخرى يعيش صراعًا داخليًا مع قوى تسلبه وجوده وحريته، ممثلة في الإله "جوبيتر"، "الشخصية التي أضافها "سارتر" ليبث أفكاره الوجودية المختلفة بشكل واضح عن أفكار النص الأغريقي الأصلي"(١٧)، ويحسم "أورست" القضية ويقرر دون تردد تحدي سلطة الإله "جوبيتر"، ويحقق إرادته بقتله لأمه وعشيقها، لنصل إلى اللحظة الدرامية الحرجة في المسرحية، حيث تستنكر "الكترا" الفعلة التي حررت قلبها وضميرها والتي طالما تمنت تحقيقها، فلا تلبث أن تسلم نفسها إلى زبانية الجحيم، تذكرها دائمًا بجرمها، بينما يتحمل "أورست" مسؤولية فعله، ويرفض الانصياع للإله "جوبيتر" الذي يطالبه بالندم وطلب الصفح، ولكن وجودية "أورست" لاتقبل أية إغراءات حتى وإن كانت عرش "أرجوس"، وترفض أية إملاءات خارجية، وإن كانت صادرة عن الإله نفسه.

"جوبيتر : اذهب ولا تصعر خدك صلفًا. فقد طرحوك جميعًا في وحدة الهول والهوان..أنت يا أجبن القتلة.

---

(١٤) جان بول سارتر: الذباب (الندم)، ت: محمد القصاص، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص٥٦.
(١٥) المصدر السابق، ص ٦٥.
(١٦) المصدر السابق، ص ١٥٢.
(١٧) منال فودة: التراجيديا الإغريقية في المسرح المعاصر، مكتبة بستان المعرفة، الاسكندرية، ٢٠١٤، ص ٢٦٣.

أورست : أجبن القتلة من يتسرب الندم إلى نفسه.

جوبيتر : أورست! أنا الذي خلقتك وأنا خالق كل شيء..انظر إلى هذه الكواكب التي تدور بنظام دون أن يرتطم واحد منها بالآخر..أنا الذي رتبت سيرها بالقسطاس...اسمع توافق الأفلاك.....

أورست : أنت ملك الآلهة يا جوبيتر وملك الصخور والكواكب وملك الأمواج في كل البحار، ولكن لست ملك الإنسان

جوبيتر : لست مليكك أنت أيتها الدودة الخالية من كل فطنة..ولكن من الذي خلقك؟

أورست : أنت ولكن كان يجب ألا تخلقني حرًا.

جوبيتر : إنما وهبتك الحرية لخدمتي.

أورست : هذا جائز ولكنها انقلبت ضدك ولا حيلة لي ولا لك في ذلك؟ "[١٨]

لقد امتلك "أورست" حريته المسؤولة لذا فهو يأبى أن يتفوه بعبارة انكار أونبذ، ولأنه يؤمن بأنه جزء لا يتجزأ من فعلته، فهو لا يكف عن الاعتراف بأن جريمته عادلة، ذلك السبيل إلى التحرر في نظر "سارتر" (انجاز الفعل وعدم الندم عليه).

ويرى الباحث أن نص "الذباب" وإن كان يمثل انعكاسًا أمينًا لأفكار "سارتر" الفلسفية، لكنه يحمل العديد من التناقضات التى ترددت أصداؤها بين جنباته، لقد أعلن "سارتر" بصراحة ومباشرة تامتين "أن فلسفته هى فلسفة ملحدة، وأن حجر الزاوية فيها هو إنكار وجود الله، انطلاقا إلى تقرير حرية الإنسان ومسئوليته الكاملتين إزاء اختياره ومستقبله، واعتقد "سارتر" أنه اذا كانت الوجودية تنطلق من مبدأ أن الوجود يسبق الماهية، وهى كذلك بالفعل، فإنه من الأنسب منطقيًا أن تكون الوجودية ملحدة لأن هذه الفكرة تتطلب الإلحاد، فيقول "سارتر" فى كتابه الوجودية مذهب إنسانى: "أما الوجودية الملحدة التى أمثلها أنا، فتعلن في وضوح وجلاء تامين، أنه إذ لم يكن الله موجودًا، فأنه يوجد على الأقل مخلوق واحد قد تواجد قبل أن تتحدد معالمه وتتبين. وهذا المخلوق هو الإنسان"[١٩]

وبالرغم من ذلك فإن النص يتضمن معالم ميتافيزيقية لا يمكن تجاهلها، فالإله "جوبيتر" هو الشخصية المفتاح في المسرحية، ويبدو أن إنكار "سارتر" له من نوع غريب فهو ليس إنكارًا لوجود الله بل هو رفض سطوة الله، حيث نرى "أورست" يعترف له صراحة بالربوبية وأنه خالق الصخور والكواكب والبحار، وعندما يسأله: "من ذا الذي خلقك؟" يرد دون تردد: "أنت"، وعلى مدار الأحداث تتردد على لسان "أورست" عبارات مثل "أما أنا فأني حر والحمد لله""[٢٠] أو "ولم تكد تخلقني حتى خرجت من نطاق سلطانك"[٢١] وكذلك عبارة "أعرف أني غريب على نفسي خارج عن الطبيعة، بل خارج على الطبيعة، ولكني لن أعود تحت قانونك،"[٢٢] أو "أنت إله وأنا حر"[٢٣] وذلك يؤكد أن "سارتر" وإن كان قد كف عن الإيمان فإن عقله مايزال محتفظا بالطابع الديني، مقتنعًا بوجود الله باعتباره خالقا، رافضًا هيمنته وسطوته على البشر.

وعندما تخاطب "إلكترا" "جوبيتر" موضحة احتقارها لهذا الإله الفارغ الذى يعيش على آلام الناس، فإننا لا نملك إلا أن نشعر أن "سارتر" ذاته هو الذى يتكلم وليست "الكترا"، فهو يعبر عما أصابه من يأس وخيبة أمل إزاء عجز ذلك الإله وفراغه، بل أننا نشعر أنه يسبه ويصفه بالقذارة ليس من باب إنكاره، ولكن من فرط حاجته إليه وخيبة ظنه فيه:

(١٨) جان بول سارتر: الذباب، مصدر سبق ذكره ، ص١٨٢-١٨٤.
(١٩) جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، مرجع سبق ذكره، ص١٣.
(٢٠) جان بول سارتر: الذباب، مصدر سبق ذكره، ص٦٥.
(٢١) المصدر السابق، ص١٨٥.
(٢٢) المصدر السابق، ص١٨٧.
(٢٣) المصدر السابق، ص١٨٨.

"إلكترا : أيها المسخ القذر لك أن تحدجني بعينيك المستديرتين في وجهك الملطخ بعصير التوت ولكني لن أخشاك لقد تمتع بزيارتك هذا الصباح نساء قديسات خذاريف باليت في ثيابهن السوداء يفرقعن من حولك بنعالهن الغليظة فقرت بهن عينك أليس كذلك؟ أيها الزوال المزعج ، إنك تحب هذه الشمطاوات وكلما اقتربن من الموتى شبهًا زدت لهن حبًا، بين قدميك أرقن أعز نبيذ لديهن لأنه يوم عيدك ورائحة العفونة المنتنة تتصاعد من ثيابهن إلى أنفك ...انشق الآن رائحتي انشق رائحة البشرة الغضة"(٢٤)

إن إلحاد "سارتر" ليس من النوع الذى يسعى صاحبه، للتدليل على عدم وجود الله بقدر تأكيده على أن وجود الله حقيقة ليست بأمر ذى بال بالنسبة للبشر، لقد رفض "سارتر" الله فى عقله وكون عنه فكرة خاطئة تصفه بالقسوة والظلم والصلف والأنانية، مما خلق حالة من العداء بين الله والإنسان تجلت فى حوار "جوبيتر" مع "إيجست":

"إيجست : إنهم يخافون منك!!

جوبيتر : هذا غاية ما أريد، لست بحاجة لأن أكون محبوبًا"(٢٥)

إن "سارتر" يكفل للإنسان السعادة حين يتجرد من الخوف، ويرى "أن الخوف سيظل جاثمًا فوق القلوب مادامت تسكنها عقيدة دينية أو أخلاقية، فالآلهة في نظره يولدون من الخوف ولا يمكن لهذا الخوف أن يتبدد إلا إذا طرحنا الأديان جانبًا"(٢٦) وهو ما يفسر سبب عدائه للإله.

وفي موضع ثان يوضح "سارتر" على لسان "أورست" سببًا آخر لهذا العداء:

"أورست : أحسست الوحدة في عالمك الصغير، كشخص فقد ظله، وأما السماء، فلم يبق فيها خير ولا شر ولا أحد أأتمر بأمره"(٢٧)

يرى الباحث أن "سارتر" كبطله "أورست" يعاني حالة من الاغتراب والضياع في عالم فقد قيمه، واستحوذت عليه قوى الشر، وبدلا من أن يساهم في إصلاحه وتغييره، كفر برب هذا العالم الموبوء واستنكر صمته إزاء ما يقترف من جرائم، ونصب نفسه إلها لنفسه يبتدع ماهيته ويسن قوانينه وأخلاقياته ويمتلك حريته المطلقة، المسؤولة والملتزمة بحرية الآخرين.

ولكن "سارتر" -من وجهة نظر الباحث- جسد الحرية في هذا النص من منطلق مغاير لما أشار إليه في كتاباته الفلسفية، فالأخلاق السارترية -كما نعلم- تقوم في جوهرها على مبدأ حرية الاختيار مع الالتزام، ولكن "أورست" لم يشعر بالمسؤولية الكافية وقت إستخدامه حق الحرية، ويجدر بنا أن نتأمل تلك العبارة التي فاه بها "أورست" "لست جارمًا ...إن جريمتي عادلة"(٢٨) فكيف يمكن أن نفكر في إقامة العدالة على أساس الاخلال بنظام النواميس الاجتماعية المكتوبة أو الأخلاقية المعنوية غير المكتوبة، فقد لجأ "أورست" إلى الثأر فقتل قاتل أبيه، ومغتصب ملكه، وأتبعه بقتل شريكة القاتل أمه الخائنة ، فهل معنى ذلك أن "سارتر" يجيز حق الثأر الذي لا يعتبر أكثر من إحدى عادات الحياة الإقطاعية؟، لقد تصرف "أورست" بحرية مطلقة غير مسؤولة مع فهم خاطئ لقانون الإنسانية:

"أورست : قضي على ألا أخضع لغير قانوني، ولن أسير في غير طريقي ذلك أني إنسان يا جوبيتر"(٢٩)

وإذا قلنا أن فعلة "أورست" تجاوزت فكرة الثأر لتنشد الخلاص الجماعي من منطلق أن خلاص شعب لا يملك حق الإختيار، لا يكمن إلا في الإنتقام من الملك الطاغي، فهل يجيز "سارتر" بهذا، فكرة الاغتيال السياسي وهو الذي يدفعه بكل قواه في معظم أعماله الأخرى.

(٢٤) المصدر السابق، ص٦٩.
(٢٥) المصدر السابق، ص ١٥٢.
(٢٦) لطفي فام: المسرح الفرنسي المعاصر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤، ١٧٦.
(٢٧) جان بول سارتر: الذباب، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨٦.
(٢٨) المصدر السابق، ص ١٧٦.
(٢٩) المصدر السابق، ص ١٨٦.

وبالرغم من رفض الوجودى "أورست" انصياع شقيقته لرغبات "جوبيتر"، إلا أن الباحث يرى "إلكترا" رمزًا للتوزان بين الحرية المطلقة والحرية المسؤولة، فعلى الرغم من رغبتها في التغيير إلا إنها بدأت تشعر بالجرم ووخز الضمير واختارت الرجوع إلى الإله، لينقذها من فظاعة هذه الجريمة في حالة من الندم الصالح والمسؤولية المتوازنة عند الخطأ.

"إلكترا : واغوثاه يا جوبيتر يا مليك الآلهة والناس يا مليكي، خذني بين ذراعيك احمني، وسأتبع قانونك، وأكون أمتك بل متاعك"(٣٠)

لاشك في "أن الانسلاخ الذي يقوم به الإنسان الوجودي عن كل ما هو معروف ومسلم به، ليضع قيمه بنفسه سوف يسلمه بطبيعة الحال إلى بداية خطيرة تقوم علي الشك في التراث، وفي كل ما يدور حوله من أعمال ومن عقائد وتقاليد حتي ينتهي به الأمر إلى إنكار العالم والوصول إلى العدم"(٣١)

وقد برزت قضية الالتزام –بمعناها الإيجابي- في نص "الذباب" من خلال رمزية الشخصيات والأحداث، ذلك أنه فضلًا عن البعد الفلسفي للمسرحية، فقد طرح "سارتر" قضية سياسية تتعلق بالاحتلال الألماني لفرنسا، فاعتبر "إيجست" رمزًا للجيش الألماني المغتصب، و"كليتمنسترا" رمزًا للفرنسيين المتعاونين مع الألمان، ليصبح "أورست" رمزًا لشباب فرنسا الثائر. ولم يفطن الألمان لهذا المعنى، إلا بعد أن نبههم إليه معاونوهم من الفرنسيين، فصادروا المسرحية"(٣٢)

وبالرغم من أن التفسير السابق للنص يصب في مصلحة "سارتر" ويدعم رأيه حول فكرة التزام الأديب وعدم انسلاخه عن إشكاليات الوجود وقضايا الواقع فإن نهاية المسرحية جاءت لتناقض هذا الزعم، فبعد أن قتل "أورست" الملك والملكة، ورفض الندم متحملًا طنين الذباب، غادر "أرجوس" ولم يبق فيها لكي يساهم في إصلاح أحوالها، وكأنه لم يقصد من وراء فعله سوى تحقيق ذاته وحريته الشخصية، ومن هنا يصبح فعله عملًا فرديًا خاصًا، وليس عملًا سياسيًا ذا طابع عام.

"أورست : لا تخافوا يا أهل أرجوس فلن أجلس وأنا الملطخ بالدماء على عرش ضحيتي، فلقد تقدم به إلى إله وأجبته لا بملء فمي، أريد أن أكون ملكًا لا أرض له ولا رعايا، وداعًا أيها الناس وحاولوا أن تحيوا، فكل ما هنا جديد، وكل شيء قد بدأ منذ اليوم فحسب"(٣٣)

وقد توقف الناقد "فرنسيس جانسون"(٣٤) Francis Johnson (١٩٢٢-٢٠٠٩) في كتابه "سارتر بقلمه" عند هذه النقطة وأظهر حيرته أمام نهاية المسرحية واعتبرها مناقضة لآراء "سارتر" حول الالتزام، وسجل إجابة "سارتر" عندما سأله عنها، حيث قال: "كنا جميعًا نحارب الألمان، ولكن ذلك لم يكن ليعطينا الحق في تشكيل سياسة فرنسا فيما بعد الحرب مع شدة اختلاف وجهات نظرنا" ومع ذلك لم يقتنع "جانسون" بإجابة "سارتر" المناقضة مع إيمانه بالمسؤولية الجماعية والدور التاريخي.

٢- مسرحية "لا مفر" (١٩٤٤):

تقوم مسرحية "لا مفر" علي تحليل العلاقة المعنوية التي تنشأ بين إنسان وآخر، والآخر عند "سارتر" ليس هو العدو أو الخصم، وإنما هو الذي يحيا إلى جانبنا، ينكر علينا حريتنا، ويصدر

(٣٠) المصدر السابق، ص ١٩١.
(٣١) محمد زكي عشماوى: المسرح، أصوله، وإتجاهاته المعاصرة مع دراسات تحليلية مقارنة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩، ص٨٤.
(٣٢) محمد القصاص: مقدمة مسرحية الذباب (الندم)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص٣٩.
(٣٣) جان بول سارتر: الذباب، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٨.
(٣٤) انظر: فرنسيس جانسون: سارتر بقلمه، ت: خليل صابات، منشورات نزار قباني، بيروت، ١٩٦٧، ص٤٢-٤٨.

أحكامًا ضد أفعالنا يديننا بها، وبذلك يصبح جلادًا لنا، أو كما قال "سارتر" أصبح بالنسبة لنا: (الجحيم هم الآخرون).

المسرحية تطرح علينا مواقف إنسانية من خلال ثلاث شخصيات هم: (جارسان، اينيز، استيل)، يضاف إليهم أحد الزبانية يأتي بهم الواحد تلو الآخر، إلى مكانهم في الجحيم، وبعد أن يلقي إليهم بالتعليمات الواجب اتباعها، يختفي إلى النهاية تاركا وراءه هؤلاء الثلاثة.

"جارسان" تنصل من مسؤولياته الزوجية وخان زوجته، الذي كان يرغمها علي أن تأتي له بالطعام وهو راقد مع عشيقته في الفراش، كما تنصل من مسؤوليته الوطنية وهرب من الخدمة العسكرية بدعوى أنه من أنصار السلام، فأعدم رميًا بالرصاص. أما "اينيز" فقد هربت هي الأخرى من مسؤوليتها الخلقية، وأفسدت ما بين زوجين استضافاها في منزلهما، سعيًا وراء رغباتها السحاقية، فقد كانت تعيش في حياتها مع إبن عمها، وافسدت عليه زوجته "فلورانس" وأقامت معها علاقة شاذة، فانتحر الزوج وحملت "اينيز" "فلورانس" مسؤولية قتل زوجها، وأخذت تتلذذ بتعذيبها، حتي يئست من حياتها وفتحت صنبور الغاز الذي أدي إلى اختناق المرأتين معًا. و"استيل" هي الأخرى تنصلت من مسؤوليتها تجاه الرجل العجوز الذي تزوجته طمعًا في ماله، لتعول أسرتها الفقيرة، ثم خانته مع عشيقها "روجيه" كما تنصلت من مسؤوليتها عن طفلتها التى أنجبتها سفاحًا إذ رمت بها من النافذة، وبعد انتحار العشيق حزنًا على إبنته، لم تجد أمامها سوي الفتي "بطرس" الذي كان مجنونًا بحبها، لترمى عليه شباكها، ولكنه بعد أن اكتشف حقيقتها انصرف إلى حب "أولجا" وتعيش "استيل" وحدها وتموت لا من عذاب الضمير، ولكن من الالتهاب الرئوي وهكذا يتقابل الثلاثة بعد الموت في الجحيم.

ومن اللافت للنظر أن طبيعة الخطايا التي ألقت بالنزلاء الثلاثة في هذا الجحيم تتعلق بفكرة الهروب من المسؤولية الخلقية المرتبطة بعبء الوجود؛ وتنصل الإنسان من تبعات اختياراته.

وجاء المنظر ليؤكد فكرة "سارتر" عن الوجود والعدم، فهو زاخر بالرموز، التى تهدف إلى تصوير حياة الجحيم، كما يراها "سارتر"، فالجحيم ليس جحيمًا بالمعنى التقليدي المتعارف عليه، لكنه علي شكل حجرة تحوي أثاثًا بسيطا، فليس هناك سوي أريكة لكل شخص، وتمثال ضخم من البرونز لجمهرة من الناس ملقي فوق مدفأة، والحجرة خالية من أية مرآة أو نافذة، لها باب قد أغلق من الخارج بمزلاج، وهناك جرس تالف لا يصلح للاستعمال.

ويرى الباحث أن تمثال البرونز يعد معادلا تشكيليًا للعدم أمام أنظار نزلاء الجحيم، معتمدًا في ذلك على رأي "سارتر" في كتابه " مالأدب؟" حول الفنون غير النثرية واعتبارها شكلا من أشكال الهروب إلى العدم، بعد أن فقدت القدرة على تحمل مسؤوليتها تجاه قضايا مجتمعها، وكذلك هم أبطال "سارتر" في نص الجحيم".

فجحيم "سارتر" في هذه المسرحية لاتوجد به نيران، أو آلات تعذيب، لأن كل واحد من شخصيات هذه المسرحية وسيلة لتعذيب الآخر وهذا ما تؤكده (اينيز) في حوارها مع "جارسان" و"استيل":

"اينيز : من الواضح أنه ليس هناك عذاب جسماني، ومع ذلك فنحن في جهنم وسنظل في هذه الغرفة نحن الثلاثة حتي النهاية إلي أبد الآبدين، وينقصنا شخص واحد هو الجلاد.

جارسان : لقد لاحظت ذلك.

اينيز : من الواضح أنهم يهدفون إلى الاقتصاد في القوى البشرية أو القوى الشيطانية، بمعني أن العملاء هنا يخدمون أنفسهم بأنفسهم.

استيل : ماذا تعني بذلك ؟

اينيز : أعني أن كلا منا جلادًا للآخر."[٣٥]

(٣٥) جان بول سارتر: لا مفر، ت: جلال العشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧، ص٦٧.

كما أن عدم وجود مرآة يرمز إلى أقصى ما يصل إليه سوء النية، فالإنسان يحتاج إلى أن يتأمل صورة لنفسه تكشف له نقصه وعيوبه، فهي المخرج الذي يتلمسه الإنسان لعلاج قبحه، وإشباع غروره، وقد انتفى هذا المخرج في جحيم "سارتر" ولم تر الشخصيات أنفسها إلا من خلال أعين الآخرين، الذين هم –من وجهة نظر سارتر– الجحيم. فعندما يتعلل كل من "جارسان" و"استيل" بأسباب أخرى وراء خطاياهما، تقف أمامهما "اينيز" كالمرآة، لتحل محل الضمير الإنساني الغائب.

"اينيز : إننا مجرمون، قتلة، إننا جميعًا في جهنم يا أصدقائى، وهم لا يخطئون ولا يمكن إدانة الناس بلا سبب.

استيل : اسكتي بحق السماء.

اينيز : في جهنم أرواح ملعونة هذا نحن ثلاثتنا.

استيل : اسكتي.. أني أمنعك من استعمال هذه الألفاظ المقززة.

اينيز : روح ملعونة ، هذا أنت أيتها القديسة الملاطية، ومجرم أيضًا صديقنا الذي يقع هناك، داعية السلام النبيل، لقد كان لنا وقت ملذاتنا، أليس كذلك؟ كان هناك أناس أحرقوا أرواحهم من أجلنا.

جارسان : (رافعًا قبضته) اغلقي فمك عليك اللعنة."[٣٦]

إن أول ألوان العذاب في هذا الجحيم هو العذاب الذي يشعر به الشخص عندما يصبح موضع اتهام أمام عين نفسه وأمام أعين الاخرين، خاصة عندما يصبح الآخر قاضيًا قاسيًا وجلادًا في الوقت ذاته.

وهناك صورة أخرى في نص "سارتر" يبدو فيها الإنسان جلادًا للآخرين، عندما يود كل شخص من الثلاثة، أن ينال من الآخر ما لا يستطيع هو أن يعطيه إياه، فاينيز بحكم أنها امرأة شاذة تهوى "استيل" المرأة اللعوب التي تعذبها برفضها لهذا الحب، وتعشق "جارسان" الرجل الوحيد في هذا الجحيم، الذي لا يبادلها الحب ويميل إلى "اينيز" في محاولة لاقناعها بشجاعته، ولكنها لا تلقي له بالا وتحب "استيل".

وتوضح المقتطفات الحوارية الآتية تلك الدائرة المفرغة التي تدور فيها الشخصيات الثلاثة:

"اينيز : (لاستيل) استيل... يا جدولي الرقراق، يا فتاتي البلورية."[٣٧]

"استيل : (لاينيز) دعيني في سلام ..... ماذا يجب أن أفعل كي أتخلص منك"[٣٨]

"استيل : (لجارسان) سأقبلك علي علاقتك.....ربما استطعت تغييرك."[٣٩]

"جارسان : (لاستيل) إنها بيننا وليس بمقدوري أن أحبك وهي تراقبني."[٤٠]

"جارسان : (لاينيز) أنت التي يجب علي أن أقنعك."[٤١]

"اينيز : (لجارسان) هل تريد حقا اقناعي.. لن يكون ذلك من الأمور الهينة.. فأنا امرأة عنيدة."[٤٢]

(٣٦) المصدر السابق، ص٦٦.
(٣٧) جان بول سارتر: لا مفر، مصدر سبق ذكره، ص٩٨.
(٣٨) المصدر السابق، ص٩٩.
(٣٩) المصدر السابق، ص٩٩.
(٤٠) المصدر السابق، ص١٢٠.
(٤١) المصدر السابق، ص١١٤.
(٤٢) المصدر السابق، ص١١٥.

وهكذا يدور الصراع في مسار لا نهائي، وعبثًا يحاول "جارسان" أن ينهيه بأن يخرج من هذه الغرفة المغلقة، وعندما يفتح الباب فجأة ولا من حارس أو سجان، يرفض "جارسان" الخروج ويؤثر البقاء بمحض اختياره.

"اينيز : الآن يا جارسان لك مطلق الحرية في أن ترحل.
جارسان : (يتأمل) أني أسأل نفسي ..لماذا فتح هذا الباب؟.
اينيز : ماذا تنتظر! اذهب بسرعة.
جارسان : لن أذهب.
اينيز : وأنت يا استيل؟!.. (استيل لا تتحرك واينيز تنفجر بالضجك).
استيل : لن ننفصل... هيا ساعدني يا جارسان عجل بمساعدتي...سندفعها إلى الخارج، ونغلق عليها الباب، وسيعطيها ذلك درسًا.
اينيز : (تتصارع مع استيل) استيل أرجوك... دعيني أبقى، لن أذهب، لن أذهب."[٤٣]

وقد لمس النقاد في عبارة "سارتر" المدوية التي أطلقها على لسان "جارسان" في نهاية المسرحية "الجحيم هم الآخرون" تناقضًا واضحًا عما ينادي به في كتاباته الفلسفية، "فوجود هؤلاء الآخرين لا يعني إلا شيئًا واحدًا فقط – في نظر جارسان- وهو أنهم وجدوا ليسلبوه حريته ويهددوا حياته، وهو المعنى المناقض لما أورده "سارتر" في كتاب "الوجودية فلسفة إنسانية" والذي تحدث فيه عن التزامات معينة يتحمل مسؤوليتها الإنسان الوجودي؛ حيث لا يمكنه أن يجعل من حريته هدفًا له، إلا إذا نظر إلى حرية الآخرين. وفي موضوع آخر من الكتاب نجده يقول: "إن ما نختاره هو الخير دائمًا وليس هناك خير بالنسبة إلينا كأفراد، إلا إذا كان كذلك أيضًا بالنسبة إلينا كجموع"[٤٤]. وهي مقولات فلسفية تتنافى تمامًا مع أفعال شخصيات النص، وما بينهم من علاقات، فعلى سبيل المثال نرى "جارسان" في علاقته بزوجته وعشيقته، وارتباطه بالموقف الإنساني الأشد وطأة والخاص بكونه مقضيًا عليه بالموت، لايهتم سوى بحريته الخاصة وكل ما يشغل تفكيره هل مات جبانًا، أم لا؟

لقد عكست عبارة "الجحيم هم الآخرون"- من وجهة نظر العديد من النقاد- النظرة السوداوية المرفوضة في فلسفة "سارتر"، إذ يصور الإنسان جلادًا لأخيه، ويصور الآخرون علي أنهم خصوم وأعداء، يريدون لنا الاذلال والألم، ومن هنا تنقطع العلاقات والصلات البشرية، التي لا يمكنها أن تقوم و تستقيم في غياب التعاطف والمحبة. ولذلك فقد اعتبر الماركسيون فلسفة "سارتر" فلسفة هدامة "تحصر الإنسان في وجوده الفردي، وتعزله عن العالم، وتبعده عن التضامن البشري."[٤٥]

وعبارة "الجحيم هو الآخرون" ليست سوي الصدي الناشز للصيحة الكبري التي بعثها "برنانوس" Bernanos (١٨٨٨-١٩٤٨) الأديب الفرنسي المعاصر حين قال : "الجحيم يا سيدتي هو أن تنتفي المحبة من قلب الإنسان، وقد عقب الكاتب والناقد المسرحي "جبرائيل مارسيل" Gabriel Marcel (١٨٨٩-١٩٧٣)- وهو من رواد الوجودية المؤمنة- علي تصوير "سارتر" للإنسان كأداة تعذيب للآخر بقوله: "إن المؤلف المسرحي الذي يعرض أمام عيوننا علي المسرح أشخاصًا ينزلون ألوان التعذيب بالآخرين، يصبح هو نفسه جلادًا ينزل بدوره التعذيب بالآخرين، والأمر الذي يبدو لنا يقينًا لا يمكن أن ينجرف إليه أدني شك أن "جان بول سارتر" يكشف عن روح "السادية"، أو التلذذ بالرغبة في إثارة التعذيب الكامنة في نفسه،[٤٦] ومهما يكن من أمر هذا التشخيص

(٤٣) المصدر السابق، ص٦٦.
(٤٤) كامل محمد محمد عويضة: جان بول سارتر فيلسوف الحرية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧، ص٣٧.
(٤٥) جلال العشري: من الوجودية إلى العبث، مسرحيتان ودراستان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧، ص٨.
(٤٦) انظر: لطفي فام: مرجع سبق ذكره، ص١٦٧-١٦٩.

فيجب التسليم بأن "سارتر" قد غالى في تصوير الإنسان جلادًا للآخر. "فنحن لا نرفض الحرية، ولكن لهذه الحرية حدود إذا تجاوزتها، وصلت إلى حد الهمجية، والتناقض أن "سارتر" ذاته ينشد مثل هذا النوع من الحرية في فلسفته، وينكرها في مسرحه"[٤٧]

وثمة مجموعة أخرى من النقاد يرون أن الإحساس الأول عند قراءة نصوص "سارتر" قد يوحي بوجود تناقض بينها وبين فكره الفلسفي، ولكن التمعن فيها قد يؤدي إلى التسليم بعدم وجود أي تناقض.

"فإلى جانب مفهوم الصراع الذي يصبغ علاقتنا مع الآخر، فإن الأنا في مسرح "سارتر" لا تتشكل ولا تتعرف على نفسها ولا تتطور دون الآخر، والقول إن الآخر هو سبب الأسى والصراع، لا يعني أنه لانتزاع الصراع والأسى من عالمي على انتزاع الآخر، بل يعني أن الحركية التي تقتضيها علاقتي مع الآخر -كحرية في مواجهة حرية أخرى- هي التي تخلق تلك الديناميكية التي لا يُفترض أن تكون سيئة أو شريرة في حد ذاتها."[٤٨]

وفي تسجيل صوتي لسارتر عام ١٩٦٥، أي بعد أكثر من عشرين عامًا من إنتاج المسرحية، قدّم سارتر تصحيحًا لهذه العبارة قائلًا: "إن مقولة 'الجحيم هو الآخرون' فُهمت على الدوام بشكل مغلوط. ما أردته هو شيء آخر تمامًا. أردت حقيقة القول إنه إذا كانت علاقاتنا مع الآخرين ملتوية وفاسدة فإن الآخر سيكون لا محالة الجحيم بذاته"[٤٩]

وأكد "سارتر" على أن العلاقات بين شخصيات النص هي بالضبط ما لا يجب أن تكون عليه العلاقات مع الآخرين، لأن استناد المسرحية كان على علاقات مغلوطة وأحكام مُقيدة لا على علاقات سليمة.

ولكن هناك من النقّاد من رفض هذا الرد المتأخر من "سارتر"، ومنهم "بيير فيرشترايتن" الذي علق على تبرير "سارتر" بقوله: "لا ندعم على الإطلاق هذا التناقض الذي يلبس ثوب المخلص لسارتر. ليست هناك وسيلة لأن نقتصد ما جاء في "لا مفر" بطريقة واضحة، حيث إن "سارتر" قال بحق إن الأسى والخجل والألم لا مهرب منها في العلاقة مع الآخر".[٥٠]

وإذا عدنا للنص فإنه سيلفت نظرنا تناقض آخر أشاره "جارسان" برفضه الخروج من الجحيم، والتخلص من نظرة الآخرين ومحاكمتهم له وكأنهم جلادون، ويضع "جلال العشري"[٥١] مبررًا لذلك التناقض بقوله: "أن رفض "جارسان" للخروج هو ذروة الموقف الوجودي، فالحياة ممثلة في هذا الجحيم، بعنصريها "اينيز" التي ترمز إلى ضمير الإنسان، و"استيل" التى تمثل الغواية والأهواء والفرار من الحياة هو العدم، والعدم عند الوجوديين أفظع من الجحيم" ويرى الباحث أن هذا التبرير جاء مناقضًا للبيئة المكتنية والزمانية للنص؛ فالشخصيات قد فارقت الحياة بالفعل بسبل مختلفة، (رميًا بالرصاص- الاختناق- مرض الالتهاب الرئوي) وجميعهم يعيشون زمن ما بعد الموت، وهو زمن ميتافيزيقي، كالمكان الذي جمعهم.

كما تناقض النص مع فكر "سارتر" الإلحادي؛ حيث أنه احتفظ في مسرحيته بظاهر المفهوم التقليدي الذي لدينا عن الجحيم؛ فالشخصيات تعترف أنها أموات، ويتم الانتقال بين الحوار والحوار، من عالم الجحيم إلى ذكرياتهم عن الحياة السابقة، وهذا تصريح ضمني باعتراف "سارتر" بقضية البعث، والثواب والعقاب، حتى وإن حسبنا هذا موت فلسفي، وجحيم رمزي، ستبقى تفاصيل الحدث ومفرداته، محفورة في لاوعي "سارتر"-وربما وعيه- وسيظل

(٤٧) مصطفى على عمر: الاتجاهات الفكرية في الأدب المسرحي، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٠، ص٣٠٩.

(٤٨) هيفا نبي: إحدى الشخصيات المسرحية لسارتر ساهمت في تشويه أفكاره (مقال الكتروني بتاريخ إبريل ٢٠٢١). https://alarab.co.uk

(٤٩) كامل محمد محمد عويضة: مرجع سبق ذكره، ص٤٥.

(٥٠) انظر: المرجع السابق، ص٤٦.

(٥١) جلال العشري: مرجع سبق ذكره، ص٣١.

مجبولًا عليها بالفطرة، ويدعم هذا الرأى ورود بعض العبارات مثل: (يـاالله-اسكتي بحق السماء- يـاإلهي ما أغرب هذه الفكرة!)"[٥٢] على لسان شخصيات النص بين الحين والآخر.

وعلى مستوى الموقف الفكري السياسي، ومن منطلق مبدأ الالتزام، يمكن النظر للمحنة التي أصابت شخصيات النص، بوصفها محنة "فرنسا" بوجه عام، فجارسان يمثل الرجل الفرنسي الذي اعتقد أن انهيار فرنسا، كان نتيجة فراره من المعركة، ولكن الصحيح أيضًا، أن فراره لم يكن عن جبن، ولكنه فعل ما فعل لأنه يؤمن بالسلام، أما "اينيز" فترمز إلى ألمانيا النازية ذات الأفعال الشاذة، التي تطارد الدول الأخرى، وتوقعها في حبالها، تحت شعار النظام الجديد، ولا تكف علي تعذيب هذه الدول واشعارها باستمرار بأنها من جنس أدنى، فقد استولت من قبل علي "فلورانس" -التي ترمز لايطاليا-، حتي هجرت زوجها وهاهي الآن تطارد "استيل"، كما تطارد النازية "فرنسا" ولا تتورع في ذات الوقت عن تذكير "جارسان" بجبنه وفراره من المعركة كم كانت النازية تفعل مع الفرنسين، وأخيرًا ترمز "استيل"، الجميلة المتحررة، الي فرنسا الديمقراطية، وحبها للفتي "بطرس" هو حب فرنسا لشباب الجيل الحديد وإعراضه عنها إلى حب الفتاه "اولجا" ذات الشعر الأحمر هو رمز اتجاه الشباب إلى روسيا الشيوعية.[٥٣]

لكن هذا التفسير –من وجهة نظر الباحث- لم يخل أيضًا من التناقض، بين المدلولات، ومجريات أحداث المسرحية وخاصة بعدما فتح الباب وحاولت "استيل" قذف "اينيز" خارج الغرفة:

"جارسان : دعيها أنا لم أبق هنا إلا بسببها."[٥٤]

فمن جهة فإننا نسأل: كيف يطلب الرجل الفرنسي للاحتلال البقاء؟!، ومن جهة أخرى فقد صور "سارتر" "استيل" بوصفها امرأه لعوب خائنة فكيف تمثل "فرنسا" بهذا الشكل؟!، إلا إذا كان يرى في سلوكها المشين معنى الحرية، أو كان يقصد "فرنسا" المتعاهدة مع الاحتلال.

ولا شك في أن اختلاف الآراء حول تفسيرات النص، هو تأكيد على أن نصوص "سارتر" لا ينظر إليها بوصفها قطعة مقدسة تنطق بالأفكار الفلسفية فحسب، ولكن كلوحة جمالية تتضمن ألوانًا مختلفة من التأويلات المحتملة.

٣- مسرحية "الشيطان والإله الطيب" (١٩٥١):

اختار "سارتر" لمسرحيته تلك الفترة القلقة في تاريخ ألمانيا من أواخر القرون الوسطى؛ حيث كانت ألمانيا تغلي بالكراهية والمقت لرجال الدين، لما كانوا يفرضونه من إتاوات على الشعب، يبتزونه باسم السماء، والسماء منها براء، وكأنه يرمي إلى تأويل مآسى تلك الفتره بأنها من صنع الله، مادام رجاله -أي رجال الدين- هم الجلادون وسفاكو الدماء.

تدور أحداث النص في مدينة "وورمس" التي اضطرب فيها حبل الأمن، وهب شعبها الجائع البائس الذي يئن من الفقر والجوع يناضل رجال الدين ورئيسهم، ذلك الأسقف الدنئ الذي ظل يستعبد أهل المدينة باسم الدين.

ويعجز الأسقف عن إخماد الثورة الشعبية التي يقودها الخباز "ناستي" ضده. و"ناستي" هذا الخباز البائس زعيم الشعب رجل ساخط، ملأت الكراهية لرجال الدين قلبه، لأنه يراهم أصل البلاء الواقع بمواطنيه، وقد اطلق عليه "سارتر" الخباز رمزًا للقمة العيش التي يكافح هؤلاء الفقراء المعدومين كي يحصلوا عليها من مغتصبيها الإقطاعيين ورجال الدين.

وكان ثمة من يعطف على "ناستي" ويؤيد ثورته، وهو القس الكاثوليكي المذهب الذي يدعى "هنريك"، وكان هو أيضًا من الفقراء الذين أبى عليهم ضميرهم الديني أن يتخذوا الدين وسيلة لخداع الشعب وإبتزاز الأموال باسم صكوك الغفران، وفي الوقت ذاته، كان في خدمة رجال الدين "جوتز" وأخوه "كوتراد" وهما يترأسان عصابة من الأفاقين وقطاع الطريق. "وجوتز" هذا رجل وضيع ابن سفاح وارثًا عن أبيه لؤم الطباع ويزيد عن هذا أنه كافر ملحد؛ فهو لا يكفر بالله

(٥٢) المصدر السابق، ص ٦٦، ٧٣، ١٢١.
(٥٣) انظر: جلال العشري: مرجع سبق ذكره، ص ص ٣٤، ٣٥.
(٥٤) جان بول سارتر: لا مفر، مصدر سبق ذكره، ص١١٣.

فحسب، بل يكفر بالإنسان كذلك، فالناس عنده ذباب لاقيمة لهم. ولعدم توافق المصالح يتمرد "جوتز" على رجال الدين وينقلب عليهم، ويقتل أخاه لأنه لم يوافقه في الرأي. ويرسل الأسقف إلى "جوتز" ليساومه بأن يسلم له مفاتيح المدينة، ليسهل عليه دخولها مقابل إخماد نار الثورة، لكنه لايقبل ويقرر احتلال البلدة وذبح جميع سكانها وعلى رأسهم رجال الدين، لأنهم أهل الثراء الضخم من جراء ماقتطعوه من الشعب المغيب، وتشتد ثورة "ناستي" ويغتال الأسقف الذي قبل أن ينفذ أنفاسه الأخيرة، يسلم مفاتيح البلدة للقس "هنريك" الذي يسرع بها إلى "جوتز" عسى أن يرحم من بطشه.

وتعتبر هذه المقابلة لب المسرحية والمعرض الذي عرض فيه "سارتر" أفكاره بطريقة مباشرة وجريئة، فقد وجد القس "هنريك" نفسه أمام رجل كفر بكل شئ حتى بالكفر نفسه، وهو رجل دين ضعيف لايملك سوى الكلام فناقشه في أمور الدين مناقشة هادئة كاد فيها "جوتز" أن يقنع القس ذاته بعدم جدوى الأديان.

"جوتز : إن الله يراني أيها الكاهن، وهو يعلم أنني قتلت أخي، ويسيل قلبه دمًا لذلك، نعم لقد قتلته يارب، وما تستطيع أن تفعل بي؟ لقد ارتكبت أشنع جريمة، ولا يستطيع رب العدالة أن يجازيني."(٥٥)

يؤكد الحوار السابق أن مشكلة "سارتر" ليست في إنكار وجود الله، ولكن في رفض تقييده لحريته، وهيمنته على أفعاله، يحاول "جوتز" بكبرياء شيطاني، إحراج الله، كأنه اكتشف أن الله لا يستطيع أن يفعل له شيئًا، لا يستطيع أن يعاقبه، إن كبريائه الشيطاني قائم على التحدي، وليس الإنكار.

و"جوتز" يشبه كثيرًا أبطال "سارتر" في النصين السابقين، فجميعهم يعانون الوحدة والهجر، ولا يرضوا إلا أن يهتم الله بهم، ولشعورهم بصمته إزاء مايحدث لهم، يسخرون منه، ويسخطون عليه، ويتحدونه، ظنًا منهم أنها الطريقة المثلى لتفريغ شحنات الكبت داخلهم، وهو ما أكده مخاطبًا "هنريك":

"جوتز : منذ طفولتي أنظر إلى العالم من ثقب المفتاح إن هذا العالم بيضة جميلة، ولكن أستطيع أن أؤكد لك أننا لسنا بداخلها، نحن خارجها ..أرفض العالم الذي لا يريدني...أنا الرجل الذي يزعج العلي الأعلى."(٥٦)

وتزداد نغمة التحدي على لسان "جوتز"، ويقرر احتلال المدينة وقتل جميع سكانها، ليرى كيف يثنيه الله عن عزمه، إن كان موجودًا بالفعل، وإمعانًا في التحدي، يطلب "جوتز" من "هنريك" أن يرسل ربه إليه علامة ينذره بها ألا يقدم على ذاك الشر، ولكن شيئًا من هذا لايحدث، فيقهقه الطاغية ويسخر من الدين، ومن الله العاجز على إقامة الدليل على وجوده.

يفطن الكاهن "هنريك" لما في شخصية "جوتز" من غطرسة وتعالي، ويجدها فرصة لإقناع "جوتز" بأن يفعل الخير ويقلع عن فجوره وشره، وهكذا يُدخل "هنريك" في روعه أن الخير مستحيل على هذه الأرض، لأن الله هو الذي أراد ذلك، وأن جميع أعماله الشريرة ليست سوى مشيئة الرب؛ فالرب هو الذي اختار له الطريق الذي يسير فيه، وإن لم يكن مقتنعًا فليقدم هو الدليل بأن يقف ضد إرادة الرب الذي كتب عليه الشقاء ويسير في طريق الخير إن كان يستطيع؛ ويقبل "جوتز" التحدي، ويتفقان على أن تستمر التجربة سنة كاملة ويومًا.

"هنريك : انك لست حرًا فى تصرفاتك بل أنت مفطور على الشر لاتستطيع منه فكاكا وأن الله هو الذى عرف فيك هذا الخبث، فكتب عليك الشقاء وان كنت تكذبنى فهلم فجرب هل تستطيع أن تقلع عما أنت مجبر عليه من شرور نفسك...هلم ..هلم.. أرنى قوتك

(٥٥) جان بول سارتر: الشيطان والإله الطيب، ت: سامي الجندي، المكتب التجاري ، بيروت، ط١، د.ت، ص ٦٢.
(٥٦) المصدر السابق، ص ٦٠.

وجبروتك .. هنا مناط القوة إن كنت قويًا حقًا، وهنا مجال التجربة إن كنت حرًا فى تصرفاتك.. أمامك طريق الخير فانتقل إليه إن كنت قويًا حقا وإن كنت حرًا حقا."[٥٧]

ويجدها "جوتز" فرصة كبيرة لأن يباري الله، وبالفعل ينقلب إلى قديس صالح ينشر العدالة بين الناس، ولأن المقدمات لاتحمل إيمانًا حقيقيًا بالتغيير في نفس "جوتز" جاءت النتائج على عكس ما توقع، فثار عليه رجال الإقطاع، وأوسعوه ضربًا وركلا، ومع ذلك لم يرضَ أن يرفع يده في وجه واحد منهم وهو الذي آل على نفسه أن يكون محبًا خيراً، فضلا عن أن الفلاحين أنفسهم رفضوا أن يأخذوا هباته رغم الفقر والحاجة، وأصبح "جوتز" الطيب الخير مكروهًا من قبل الفقراء والأغنياء على السواء، وهنا يقرر أن يرتد لطبيعته الأولى، ليعود جلادًا وسفاحًا كما كان، ويكون أول ضحاياه هو القس "هنريك" نفسه.

"جوتز : سأكون جلادًا ...سأخيفهم بما أنه ليست لدي طريقة أخرى لأحبهم، سوف أعطيهم الأوامر، بما أنه ليست لدي وسيلة أخرى للطاعة، سأظل وحيدًا بصحبة هذه السماء الفارغة."[٥٨]

يرى الباحث أن "سارتر" يقدم مفهوم آخر للحرية مختلف عن مفهوم الحرية التى يطلقة فى فلسفته .التي أكد فيه على أن الحرية الفردية ليست مطلقة بالمعنى الذى يبيح للفرد أن يفعل ما يحلو له بغض النظر عن أى إعتبار، ولكن فى هذا النص "نجد "جوتز" يقدم دليلا على صحة ماأدعوه خصوم الوجودية فجوتز يرى إنه هو الموجود الحقيقى الذى يصنع ما يشاء أينما شاء وكلما شاء، لأنه حر، وليس لأحد أن يقف فى سبيله أو يقيد حريته فى أن يسحق الناس كما تسحق الكسارة البندق وأن يسطو على أعراض النساء كما تسطو الأفعى على الفئران، ثم هو لايبالى أن يتزع الطفل من أحضان أمه ليحطم رأسه فى جدار من الصخر، كى يستمتع بتلك الأم بعد ذلك، والويل لها إن عبست أو أظهرت شيئًا، من الحزن على ابنها المحطم المقتول .. أين الحرية الملتزمة التى تحترم حرية الآخرين فى مثل هذه التصرفات؟، خاصة وأن "سارتر" يؤكد على "أن شخصيات الكاتب لابد وأن تكافح في سبيل حريتها، باختيارها مايتفق والإرادة الخيرة"[٥٩] .

ومن منطلق إيمان "سارتر" بفكرة الالتزام ، وأن الأدب أداة من أدوات الاصلاح الاجتماعى بوصفه وسيلة من وسائل الدعاية الثورية ضد الممارسات الفاسدة"،[٦٠] عكس النص وجهة نظر "سارتر" السياسية في "ضرورة الانحياز لجانب الطبقات المضطهدة لتحسين أوضاعها ضد البرجوازية، وهذا ما حمس "سارتر" للفكر الاشتراكي، الذي رأى فيه خلاص الإنسان من براثن أصحاب رؤوس المال"[٦١] ، وتلك من إيجابيات فكرة "سارتر" عن الالتزام، ولكن التناقض يكمن في الأساس الذي عليه أقام "سارتر" العدل الاجتماعي بالنص، وهو ما يبرز من خلال حوار "ناستي" مع "جوتز":

"جوتز : ماذا تقترح على؟.

ناستي : استولى على المدينة اذبح الأغنياء والكهنة، اعطها للفقراء، وأقم جيشًا من الفلاحين.

جوتز : أتريد أن أتحالف مع الفقراء؟ وماذا ستفعل بالبرجوازيين؟

ناستي : استولى على ثرواتهم لالباس العراة واشباع الجياع.

جوتز : وبالكهنة؟.

ناستي : نرسلهم إلى روما.

---

(٥٧) جان بول سارتر: الشيطان والإله الطيب، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥.

(٥٨) المصدر السابق، ص ٢٥٦.

(٥٩) جلال العشري: المسرح فن وتاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١، ص١٠٠.

(60) Elizabeth and Tom Burns: Sociology Of Literature and Drama, London, Penguin Books, 1973, P.374.

(٦١) جان بول سارتر: سارتر عاصفة على العصر، ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد دار الآداب، بيروت، ١٩٦٥، ص٢٦٦.

جوتز : وبالنبلاء؟
ناستي : نقطع رؤوسهم."[٦٢]

يطرح الحوار السابق سؤالًا مهمًا حول العمل الثوري؛ هل ينسجم العنف السياسي مع مقتضيات العدالة الاجتماعية؟، بالطبع لا، لكن هذا ما أجازه "سارتر" على لسان "ناستي" الذي انكوى-هو ذاته- بسعير الظلم ونيران القهر. إن مايريده "ناستي" ليس العدالة، وإنما التشفي والانتقام.

وقد توصل الباحث في نهاية الدراسة إلى مجموعة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

١- أثبت البحث أن نصوص "سارتر" الثلاثة تضمنت مفهومًا مغايرًا للحرية عن معناها الوارد فى فلسفته والذي أكد على أن الحرية الفردية ليست مطلقة بالمعنى الذى يبيح للفرد أن يفعل ما يحلو له بغض النظر عن أى إعتبار، إلا أن هناك اعتداءات سافرة لأبطاله على حريات الآخر، بهدف تحقيق حريتها الفردية.

٢- أوضح البحث أنه بالرغم من انطلاق الوجودية من مبدأ أن الوجود يسبق الماهية، وأن هذا المبدأ يتطلب الإلحاد، لكن نصوص "سارتر" تضمنت معالم ميتافيزيقية تؤكد أن مشكلة "سارتر" ليست في إنكار وجود الله، ولكن في رفض تقييده لحريته، وهيمنته على أفعاله.

٣- أكد البحث أن هناك تناقض بين عبارة "سارتر" المدوية في نص "لا مفر" "الجحيم هم الآخرون" والتى تصور الإنسان جلادًا لأخيه، وتصور الآخرون على أنهم خصوم وأعداء، وما أورده "سارتر" في كتاب "الوجودية فلسفة إنسانية" والذي تحدث فيه عن التزامات معينة يتحمل مسؤوليتها الإنسان الوجودي؛ حيث لا يمكنه أن يجعل من حريته هدفًا له، إلا إذا نظر إلى حرية الآخرين.

٤- أثبت البحث أن هناك تناقض بين مفهوم الالتزام السياسي للكاتب في فلسفة "سارتر" وسلوك وتصرفات أبطال نصوصه، حيث يهرب "أورست" من التزاماته تجاه شعبه في نهاية مسرحية "الذباب" كما يسعى "ناستي" للعنف والدموية لتحقيق العدالة الاجتماعية في نص "الشيطان والإله الطيب".

٥- أوضح البحث أن هناك تناقضات وقع فيها النقاد عند تحليلهم لنصوص "سارتر" من منطلق فلسفته، وأشار الباحث إلى أن اختلاف الآراء حول تفسيرات نصوص "سارتر"، هو تأكيد على ثرائها الفكري وتحفيزها لذهن المتلقي للكشف عن مستوياتها الرمزية.

(٦٢) جان بول سارتر: الشيطان والإله الطيب، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٠.

المصادر والمراجع العربية والمترجمة

١- جان بول سارتر: الذباب (الندم)، ت: محمد القصاص، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

٢- ـــــــــــــــــــ: الشيطان والإله الطيب، ت: سامي الجندي، المكتب التجاري ، بيروت، ط١، د.ت.

٣- ـــــــــــــــــــ: الوجودية مذهب إنساني، ت: عبد المنعم الحفني، ط١، مطبعة الدار المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.

٤- ـــــــــــــــــــ: الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الآداب، بيروت، ط١، ١٩٦٦.

٥- ـــــــــــــــــــ: سارتر عاصفة على العصر، ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد دار الآداب، بيروت، ١٩٦٥.

٦- ـــــــــــــــــــ : لا مفر، ت: جلال العشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧.

٧- ـــــــــــــــــــ: ما الأدب؟ ، ت: محمد غنيمي هلال، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠.

٨- جلال العشري: المسرح فن وتاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١.

٩- ـــــــــــــــــــ: من الوجودية إلى العبث، مسرحيتان ودراستان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٧.

١٠- حبيب الشاروني: أزمة بين برجسون وسارتر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

١١- ـــــــــــــــــــ: فلسفة جان بول سارتر، منشأة المعارف، الاسكندرية، د.ت.

١٢- ديف روبنسون، جودي جروفز: أقدم لك الفلسفة، ت: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١.

١٣- عبد المنعم ابراهيم البحقيري: الإنسان والحرية في مسرحيات سارتر، (مجلة المسرح)، العدد٤١، السنة الرابعة، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، القاهرة ١٩٦٧.

١٤- فرنسيس جانسون: سارتر بقلمه، ت: خليل صابات، منشورات نزار قباني، بيروت، ١٩٦٧.

١٥- فؤاد كامل : فلاسفة وجوديون "مذاهب وشخصيات"، دار الطباعة القومية، ١٩٥٩.

١٦- كامل محمد محمد عويضة: جان بول سارتر فيلسوف الحرية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٧.

١٧- لطفي فام: المسرح الفرنسي المعاصر، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤.

١٨- محمد القصاص: مقدمة مسرحية الذباب (الندم)، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

١٩- محمد زكي عشماوى: المسرح، أصوله، وإتجاهاته المعاصرة مع دراسات تحليلية مقارنة، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٩.

٢٠- محمد سعيد العشماوى: تاريخ الوجودية في الفكر البشري، دار سيناء للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٢.

٢١- مصطفى على عمر: الاتجاهات الفكرية في الأدب المسرحي، دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٠.

٢٢- منال فودة: التراجيديا الإغريقية في المسرح المعاصر، مكتبة بستان المعرفة، الاسكندرية، ٢٠١٤.

٢٣- هيفا نبي: إحدى الشخصيات المسرحية لسارتر ساهمت في تشويه أفكاره (مقال الكتروني بتاريخ إبريل ٢٠٢١). https://alarab.co.uk

المراجع الأجنبية:

1- Arthur Colemon Danto: Jean Paul Sartre , Modern Masters, Viking Press, 1975.

2- Christopher Macann: Four Phenomenological Philosophers, Husserl, Heidegger, Sartre, Merleau Ponty, London and New Yourk, 1993.

3- Elizabeth and Tom Burns: Sociology Of Literature and Drama, London, Penguin Books, 1973.